بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين، سيما خليفة الله في الأرضين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، ولا حول ولاقوه إلا بالله العلي العظيم.

أخطر عدوّ يُهدّد حياتك ومستقبَلك

المقدمة:

يدور البحث حول ظاهرة العنف بمختلف أشكاله ومستوياته، بدءاً من مستوى الأفراد والجماعات، مروراً بمستوى الحكومات، وصولاً إلى مستوى العالم كلّه، مستعرضاً الآثار السلبية المقيتة لثوران القوة الغضبية على مستوى الأشخاص، وللعنف على مستوى العالم، مستشهداً بكلمات أمثال أينشتاين ومارتن لوثر كينغ.

ليصل إلى أنواع العنف، وهي:

الأول: العنف الممنهج: مشيراً إلى نماذج غريبة من العصور السابقة في الغرب، كبيع الزوجات في بريطانيا طوال مائتي سنة، وصولاً إلى إحصاءات مذهلة عن حوادث العنف الأسوأ: العنف الزوجي وقتل الزوجات، وارتفاع عدد القتلى عمداً بالعالم، والعنف ضد الأطفال، وكذلك العبودية القسرية الحديثة للملايين من الناس.

الثاني: العنف المقنّن: مستشهداً بنماذج من أغرب أجهزة التعذيب قديماً في بريطانيا، وفي الحال الحاضر مستعرضاً إحصاءات عن أجهزة تعذيب غريبة تبيعها الدول الديمقراطية لديكتاتوريات العالم الثالث، وكيف أنّها تتحايل لإخفاء ذلك عن أعين شعوبها.

ليصل إلى أنّ الحل على مستوى العالم كلّه خارج عن أيدينا، وأنّه لا حلّ إلّا بظهور ولي الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولكن على مستوى الأشخاص، فإنّ الحل النسبي يكمن بأن يسعى كلّ فرد ليكون نموذجياً في أخلاقه ورِفقه، وأن يبني أسرته وتلامذته على ذلك.

الإطلاق الأفرادي والأحوالي والأزماني لـ ﴿لا تَعْتَدُوا﴾

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿**وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**[١]﴾.

---

١ البقرة: ١٩٠، المائدة: ٨٧.

وفي الآية الكريمة بصائر كثيرة، نقتصر على اثنتين منها:

الأولى: أنّ لقوله تعالى: ﴿**لا تَعْتَدُوا**﴾ ثلاثة أنواع من الإطلاق: الأفرادي، والأحوالي، والأزماني.

فالإطلاق الأفرادي يعني المنع عن كل فرد فرد من أفراد العدوان، سواء أكان على الصديق أم على المنافس أم حتى على العدو؛ إذ ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى**[1]﴾، وسواءً أكان على الشعب أم على المنظمات والجماعات أم كان على الزوجة والأولاد ومطلق الضعفاء.

والإطلاق الأحوالي يعني المنع عن الاعتداء على الغير في مختلف حالاتك وفي مختلف حالاتهم، فحتى لو كنت في ضيق شديد وكانت أعصابك متوترة جداً، فإنّ ذلك لا يبرر لك أن تعتدي على الزوجة والأولاد أو الموظفين، كما يبرر كثيرٌ من الناس سِبابهم أو ضربهم لأقربائهم أو جيرانهم أو أصدقائهم بذلك: بأنّني كنت في حالة غضب شديد، أو في حالة حزن أو كآبة شديدة، أو كنت أكاد أنفجر من الغيظ أو من الإفلاس وضغط الديون، لذا فرّغت شحنة غضبي على رأس زوجتي وأولادي أو العاملين معي... كلا، لا يبرر ذلك الاعتداء أبداً.

والإطلاق الأزماني يعني المنع من العدوان في مختلف الأزمان؛ إذ نجد كثيراً من الناس يبرر عدوانه بأنّ الفصل صيف، والجو حار جداً، لذلك ثارت قوتي الغضبية!

﴿لا تَعْتَدُوا﴾ نصٌّ قاطعٌ باتّ

الثانية: أنّ الآية الكريمة عظيمة في شدة إيجازها ووضوحها وقوة دلالتها، فهي نصٌّ قاطعٌ باتٌّ جازمْ: ﴿**لا تَعْتَدُوا**﴾، فهو كقولك مثلاً بإيجاز مفيد (ممنوع الدخول)! وهو نص يفهمه العالم المتبحر كما يفهمه الجاهل الموغل في الجهل، فحيث إنّه أريد نهي الجميع، بمختلف مستوياتهم، لذلك كانت العبارة صريحة قوية ممّا يفهمه الجميع بوضوح شديد، عكس مثل ﴿**مُدْهامَّتانِ**[2]﴾ أو ﴿**تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضيزى**[3]﴾، إذ لم تستدعِ الضرورة اختيار مفردة عامة الفهم للجميع.

---

١ المائدة: ٨.

٢ الرحمن: ٦٤.

٣ النجم: ٢٢.

والعدوان والعنف هو الخطر الذي يهدد حياتك ومستقبلك، كما يهدد حياة البشرية كلها، ويهدد التجمعات بمختلف مستوياتها.

أعدى عدو الإنسان غضبه وشهوته

ولذا ورد في الأحاديث: «**أَعْدَى عَدُوٍّ لِلْمَرْءِ غَضَبُهُ وَشَهْوَتُهُ، فَمَنْ مَلَكَهُمَا عَلَتْ دَرَجَتُهُ وَبَلَغَ غَايَتَهُ**[١]»، ذلك أنّ العدو الخفي، الكامن داخل النفس، أخطر من العدو الخارجي بكثير؛ لأنّ العدو الخارجي، داعش مثلاً، ظاهر للعيان، لذا يتحفز الكل لمقاومته والتصدي له، أمّا العدو الداخلي، العنف الكامن داخل نفس كل إنسان، فإنّه لا يسترعي الانتباه كثيراً، لذا فإنّه كاللص المتستر الذي يمكنه أن يسرق إيمانك وسعادتك ومستقبلك وأصدقاءك في لحظات غفلة وعند التراخي عن الضبط الشديد للقوة الغضبية وعن كبح جماح العنف النفسي، بقوة فائقة.

ولذا ورد عنه (عليه السلام): «**الغَضَبُ نارٌ مُوقَدَةٌ، مَن كَظَمَهُ أطفَأها، ومَن أطلَقَهُ كانَ أوَّلَ مُحتَرِقٍ بها**»[٢].

وورد: «**واحذَرِ الغَضَبَ؛ فإنّهُ جُندٌ عَظيمٌ مِن جُنودِ إبليسَ**»[٣]، فإنّه قد يدفع الإنسان في غضون ثانية واحدة إلى قعر جهنم.

وورد: «**مَن أطلَقَ غَضَبَهُ تَعَجَّلَ حَتفَهُ**[٤]».

وتؤكد الإحصاءات ذلك، فعلى سبيل المثال:

الغضب والعنف في لغة الأرقام وأخطارهما على حياة الإنسان

١- دراسة أمريكية تابعت ٢٧,٣٧٣ شخصاً من الرجال على مدى ٣٥ سنة: وجدت أنّ أصحاب مستويات الغضب المرتفعة في الربع الأعلى كان خطر وفاتهم أعلى بنحو ٥٧٪ من أصحاب المستويات الأقل، بعد ضبط بعض العوامل[٥].

---

١ عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، دار الكتب الإسلامية ـ قم: ص٢١٠.

٢ غرر الحكم: ص٩٥.

٣ نهج البلاغة: الكتاب٦٩.

٤ غرر الحكم: ص٥٨٨.

٥ نُشرت في مجلة Social Science & Medicine (المجلد ١٤٤، الصفحات ٦٩–٧٨، عام ٢٠١٥).

٢. دراسة سويدية شملت ٤٧,٠٧٧ شخصاً، أعمارهم ٥٦–٩٤ سنة: وجدت أنّ نوبات الغضب الشديد المتكررة ارتبطت بزيادة:

* خطر قصور القلب بنسبة ١٩٪.

* خطر الرجفان الأذيني بنسبة ١٦٪.

* خطر الوفاة بأمراض القلب والأوعية بنسبة ٢٣٪[١].

٣. دراسة شملت ١٤,٤٤٥ شخصاً في فرنسا: وجدت ارتباطاً بين العدائية العصابية وارتفاع خطر الوفاة من جميع الأسباب، حتى بعد مراعاة عوامل أخرى[٢].

خطر العنف يتهدد الحضارة البشرية

وأمّا على مستوى العالم، فيكفي أنّ عقلاء العالم والمفكرين استشعروا مبكراً خطر سيادة منطق القوة والعنف على العالم، وأنّ ذلك يتهدد الحضارة البشرية كلها، فمثلاً:

كتب Albert Einstein إلى سيغموند فرويد سنة ١٩٣٢، في رسالة عنوانها «لماذا الحرب؟»:

> «مع تقدم العلم الحديث، أصبحت هذه القضية تعني مسألة حياة أو موت بالنسبة إلى الحضارة كما نعرفها».

والنص الأصلي:

“With the advance of modern science, this issue has come to mean a matter of life and death for civilization as we know it.”

كان أينشتاين يتحدث عن خطر الحرب في عصر تطور الأسلحة والتكنولوجيا، وعن عجز البشرية عن ضبط نزعتها إلى العنف[٣].

وفي كلمة تأبينية عن المهاتما غاندي سنة ١٩٤٨، قال أينشتاين:

---

١ المجلة العلمية: نُشرت في مجلة European Heart Journal Open (عام ٢٠٢٢).

٢ المجلة العلمية. المجلة الدولية لعلم الأوبئة (International Journal of Epidemiology)، المجلد ٣٧، العدد ٢، الصفحات ٣٨٦–٣٩٦ (نُشرت في أبريل ٢٠٠٨).

٣ المصدر: رسالة أينشتاين إلى فرويد، ٣٠ يوليو ١٩٣٢، منشورة في مجلة اليونسكو The UNESCO Courier.

«علينا أن نتعلم الدرس الصعب: إن مستقبل البشرية لن يكون قابلاً للاحتمال إلا إذا استند مسارنا في الشؤون العالمية، كما في سائر الأمور، إلى العدالة والقانون، لا إلى التهديد بالقوة العارية».

النص الإنجليزي:

" The future of mankind will only be tolerable when our course... is based upon justice and law rather than the threat of naked power."[١]

وقال Martin Luther King Jr. في محاضرته بمناسبة نيله جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٦٤:

«العنف لا يجلب سلاماً دائماً أبداً... إنه دوامة هابطة تنتهي بالتدمير للجميع».

والنص الإنجليزي:

" Violence never brings permanent peace... It is a descending spiral ending in destruction for all."

ثم يشرح أن العنف لا يحل المشكلات الاجتماعية، بل يخلق مشكلات جديدة وأكثر تعقيداً، ويترك المرارة في نفوس الناجين والوحشية في نفوس المنتصرين[٢].

ومن أشهر الأقوال المنسوبة إليه:

«لم يعد الاختيار اليوم بين العنف واللاعنف؛ بل أصبح بين اللاعنف والوجود».

بالإنجليزية:

" The choice today is no longer between violence and nonviolence. It is either nonviolence or nonexistence."

هذا القول يلخّص خطورة الأسلحة الحديثة، ولا سيما الأسلحة النووية، التي جعلت العنف المنظم قادراً على تهديد وجود البشرية نفسها[٣].

---

١ المصدر: كلمة أينشتاين عن غاندي، ١١ فبراير ١٩٤٨؛ منشورة ضمن Einstein on Peace.

٢ المصدر: محاضرة نوبل، ١١ ديسمبر ١٩٦٤.

محاضرة مارتن لوثر كينغ في نوبل.

٣ المصدر: كتاب A Testament of Hope: The Essential Writings of Martin Luther King,

ومن ذلك كله نعرف أنّ العنف والتنمر على الآخرين والعدوان وثورة القوة الغضبية هي خطر عظيم، إن لم تكن أعظم خطر، على كل شخص وأسرة ونقابة واتحاد وحزب وعشيرة وعلى جميع مؤسسات المجتمع المدني، كما هي خطر عظيم على الشعوب والحضارات كلها.

أنواع العنف

والعنف يتفرع إلى أربعة أنواع: العنف الممنهج، والعنف المقنّن، والعنف المشرعن، والعنف الشخصي أو اللغوي أو المنفلت:

أولاً: العنف الممنهج

أ- العنف الممنهج، وهو ذلك العنف الذي أصبح نظاماً في حياة الأشخاص أو الحكومات أو الجماعات (أي سيستماً)، وصار طابعاً يطبع حياتهم وحالةً وأسلوباً.

والعنف الممنهج كان ولا يزال السيد الذي يحكم حتى أعرق الديمقراطيات، فعلى سبيل المثال: (بريطانيا) التي تعد أعرق ديمقراطية في عالم اليوم، إذ تميزت باستمرارها منذ سبعمائة عام حتى الآن، لكن الديمقراطية أمر والإنسانية أمر آخر، إذ الديمقراطية تعني حرية الاختيار والانتخاب مع آليات معينة، لكن أين ذلك من الإنسانية؟ فلنذكر مثالين قديماً وحديثاً.

بيع الزوجات في العهد الفيكتوري و...!

بيع الزوجات

وكما سجّل عدد من الباحثين: فحتى عام ١٩١٣ كان يتم بيع الزوجات، رغماً عن أنفهنّ، في مزاد علني في إنجلترا!! وكان ذلك عادة قانونية واجتماعية استمرت ٢٠٠ سنة.

في نهاية القرن الـ ١٧، كان الطلاق في إنجلترا مستحيلاً للفقراء. ولم يكن يستطيع أن يطلب الطلاق إلا الأغنياء جداً عبر تقديم طلب للبرلمان، بتكلفة ضخمة وإجراءات تستمر لسنوات.

فماذا يفعل الزوج الفقير الذي يريد الانفصال؟

وجدوا ثغرة قانونية غريبة وهي: "بيع الزوجة في السوق".

لأن القانون وقتها كان يعتبر الزوجة من ممتلكات الزوج، تماماً مثل أثاث المنزل وأمتعته، فكان

Jr.، ص ٣٩، ونقله موقع مؤسسة ساتياغراها مع الإحالة إلى الكتاب.

يأخذها إلى سوق الماشية، ويضع حول رقبتها أو يدها حبلاً أو طوقاً، ويبدأ المزاد!!.

والسعر كان يتراوح من بضعة شلنات إلى ٢٥ جنيه إسترليني.. وهو نفس سعر الحصان تقريباً في ذلك الوقت!!.

وأول حالة موثقة كانت في برمنغهام عام ١٧٣٣، عندما باع رجل يدعى صموئيل وايتهاوس زوجته ماري مقابل جنيه واحد فقط.

وكان المشهد علنياً: الزوج ينادي على المارة ويعدد "مزايا" زوجته ليرفع السعر، والناس تتجمع لتشاهد. وصلت هذه الظاهرة لذروتها بين ١٧٨٠ و ١٨٥٠، وتم توثيق أكثر من ٤٠٠ حالة بيع.

ولكن لماذا لم تستطع المرأة أن ترفض؟

في إنجلترا الفيكتورية، لم تكن المرأة تملك أي شيء. إذ بمجرد زواجها، كل ممتلكاتها تصبح ملكاً لزوجها. وحتى لو انفصلت، فإنّ حضانة الأطفال تذهب تلقائياً للأب، ويمكنه منعها من رؤيتهم تماماً)[١].

العنف الزوجي والجنسي

ومن أخطر الإحصاءات التي نشرتها منظمة الصحة العالمية:

نحو ٨٤٠ مليون امرأة وفتاة تعرضن للعنف الجسدي أو الجنسي من الشريك أو للعنف الجنسي من غير الشريك مرة واحدة على الأقل في حياتهن.

أي ما يقارب امرأة واحدة من كل ثلاث نساء.

نحو ٢٦٣ مليون امرأة تعرضن للعنف الجنسي من أشخاص غير شركائهن منذ بلوغهن الخامسة عشرة[٢].

الاعتداء الجنسي في الطفولة

تشير تقديرات اليونيسف إلى أن:

نحو ٦٥٠ مليون امرأة وفتاة تعرضن للعنف الجنسي في طفولتهن.

---

١ المصادر: أرشيف المحاكم البريطانية – متحف لندن للتاريخ الاجتماعي – كتاب Wives for Sale للباحث صامويل مينيفيلد.

٢ المصدر: منظمة الصحة العالمية، تقديرات ٢٠٢٣ المنشورة في ٢٠٢٥.

ونحو ٤١٠ إلى ٥٣٠ مليون رجل وفتى تعرضوا لذلك أيضاً.

وهذه أرقام تراكمية للأحياء اليوم ممن تعرضوا للعنف الجنسي في طفولتهم، وليست أعداد الاعتداءات السنوية.

وفي بُعد آخر وعلى مستوى العالم حالياً بما فيه الدول الديمقراطية:

جرائم القتل

بحسب مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة:(UNODC)

بلغ عدد ضحايا القتل العمد في العالم سنة ٢٠٢١ نحو ٤٥٨ ألف إنسان.

أي بمعدل يقارب ١٢٥٥ قتيلاً يومياً.

٨١٪من الضحايا رجال، و١٩٪ نساء.

بلغ معدل القتل ٥,٨ لكل ١٠٠ ألف نسمة سنة ٢٠٢١[١].

وبحسب منظمة الصحة العالمية، يموت سنوياً:

نحو ٤,٤ مليون إنسان بسبب الإصابات بمختلف أنواعها.

منهم ٣,١٦ مليون بسبب الإصابات غير المتعمدة.

نحو ١,٢٥ مليون بسبب الإصابات المرتبطة بالعنف.

أي إن الإصابات المرتبطة بالعنف وحدها تقتل نحو ٣٤٢٥ شخصاً يومياً[٢].

قتل النساء على أيدي أزواجهن أو أقاربهن

فبحسب تقرير الأمم المتحدة للمرأة ومكتب الأمم المتحدة للمخدرات والجريمة الصادر في نوفمبر ٢٠٢٥:

قُتلت نحو ٥٠ ألف امرأة وفتاة سنة ٢٠٢٤ على أيدي أزواجهن أو شركائهن أو أفراد أسرهن.

أي بمعدل ١٣٧ امرأة يومياً.

أي امرأة كل عشر دقائق تقريباً.

---

١ المصدر: التقرير العالمي لدراسة جرائم القتل لعام ٢٠٢٣ .

٢ المصدر: منظمة الصحة العالمية، ١٩ يونيو ٢٠٢٤.

يمثل ذلك نحو ٦٠٪ من مجموع النساء والفتيات اللاتي قُتلن عمداً في ذلك العام[١].

ثالثاً: العنف ضد الأطفال

الاعتداء على الأطفال

وبحسب منظمة الصحة العالمية:

يصل عدد الأطفال الذين يتعرضون للعنف الجسدي أو الجنسي أو النفسي أو الإهمال إلى أكثر من مليار طفل سنوياً.

تشمل الإحصائية الأطفال من عمر سنتين إلى ١٧ سنة[٢].

العقوبات العنيفة داخل الأسرة

وبحسب اليونيسف:

نحو ١,٦ مليار طفل، أي طفلان من كل ثلاثة، يتعرضون للتأديب العنيف في المنزل.

يشمل ذلك الضرب والعقاب الجسدي والاعتداء النفسي.

واحد من كل ثمانية أطفال يتعرض لعقوبة جسدية شديدة.

العمل القسري والعبودية الحديثة

بحسب منظمة العمل الدولية ومنظمة الهجرة الدولية ومؤسسة:Walk Free

تقديرات سنة ٢٠٢٢ تشير إلى:

وجود ٢٧,٦ مليون إنسان في حالة عمل قسري.

٣,٩مليون منهم في العمل القسري الذي تفرضه الدول.

٦,٣مليون في الاستغلال الجنسي التجاري القسري.

٣,٣مليون طفل ضمن ضحايا العمل القسري.

تحقق هذه التجارة أرباحاً غير مشروعة تبلغ ٢٣٦ مليار دولار سنوياً في الاقتصاد الخاص.

وهذا يبين أن العنف ليس بالضرورة ضرباً أو قتلاً؛ فقد يكون استعباداً وسلباً للحرية واستغلالاً لحاجة

---

١ المصدر UNODC :وUN Women، تقرير Femicide ٢٠٢٤.

٢ المصدرWHO :، العنف ضد الأطفال، ٢٠٢٦.

الإنسان وفقره.

ثانياً: العنف المقنّن

ب- العنف المقنّن، ونعني به ذلك العنف والظلم الذي يوفّر له القانون الحماية، كما تفعل الحكومات الدكتاتورية على مرّ التاريخ، والحكومات الديمقراطية أيضاً، ولكن بطرق أكثر ذكاءً، وبغطاء من الفلسفة أو الضرورة أو الحتمية، أو حتى القوانين المسنونة خصيصاً.



ولنضرب لذلك أيضاً أمثلة من القرون السابقة ومن العصر الحاضر:

أداة تعذيب رهيبة في بريطانيا: ابنة الزبّال

فلقد كان التعذيب، سواء للسجناء السياسيين أم غيرهم، أداة كثيرة الاستخدام حتى في الدول الديمقراطية، ففي بريطانيا مثلاً، كانت تُستعمل أدوات تعذيب رهيبة، ومنها ما أسموه بـ(ابنة الزبّال).

هذه صورة أداة التعذيب الإنجليزية المعروفة باسم «ابنة الزبّال»، واسمها التاريخي الأدق Skevington's Daughterأو Scavenger's Daughter، وقد استُخدمت في إنجلترا في القرن السادس عشر، في عهد الملك هنري الثامن.

فكرتها: إطار أو قيد حديدي كان يُضغط به جسد السجين ويُثنى إلى وضع شديد الانكماش، بخلاف جهاز «الراك» الذي كان يعتمد على شدّ الأطراف.

اخترعها، بحسب المصادر التاريخية، السير ليونارد سكفِنغتون، المسؤول في برج لندن.

توجد نماذج أو نسخ منها معروضة في برج لندن.

تُظهر نقوش القرن السادس عشر صورتها، ومنها نقش يعود إلى نحو سنة ١٥٨٧.

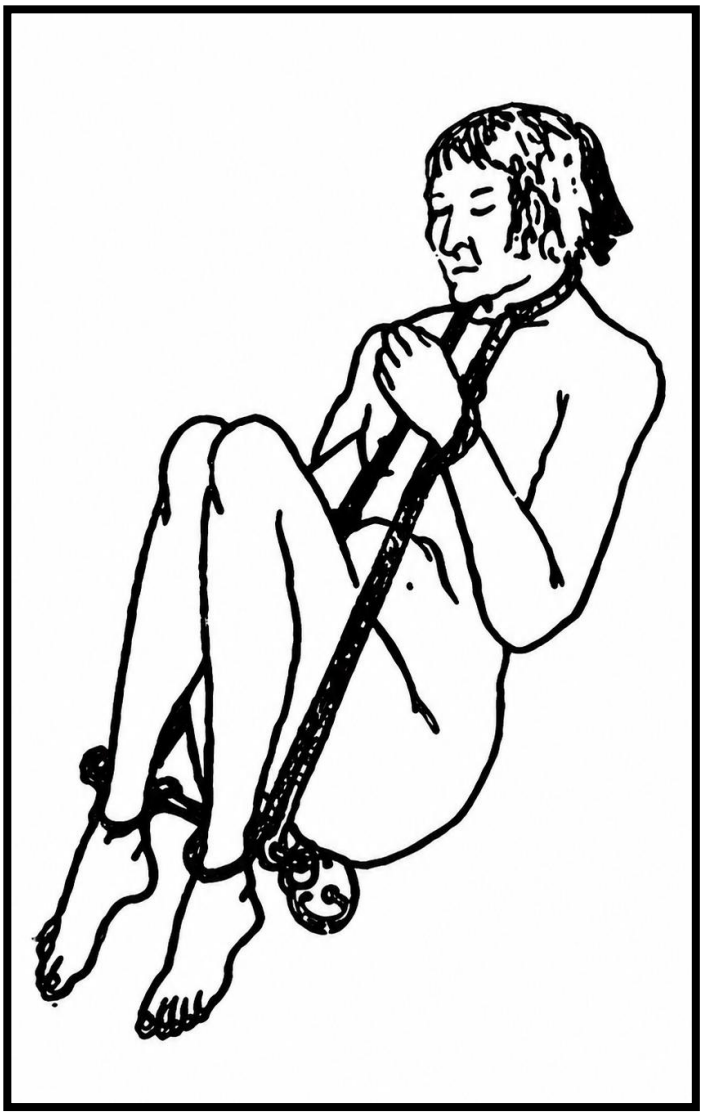

مصدر موثوق للصورة والوصف:

– Royal Armouries صورة الأداة ووصفها التاريخي

ويمكن مشاهدة صورها أيضاً في مجموعة متحف العلوم البريطاني:

– Science Museum Group Skeffington's Daughter

وبحسب تقرير آخر: «ابنة الزبّال» — Scavenger's Daughter

من أغرب أدوات التعذيب الإنجليزية في القرن السادس عشر.

كانت إطاراً معدنياً يُجبر السجين على الانحناء والانضغاط، بحيث يضغط الجسم على نفسه.

استُخدمت في برج لندن.

ارتبطت بعهد الملك هنري الثامن.

كانت من أدوات الضغط الجسدي الشديد.

وتوجد قطعة تاريخية منها في مجموعة الأسلحة الملكية البريطانية.

– Royal Armouries – أدوات التعذيب في برج لندن

أدوات تعذيب أخرى

* عجلة التكسير — Breaking Wheel

من العقوبات الأوروبية القديمة التي كانت تجمع بين التعذيب والإعدام.

كان المحكوم عليه يُعاقب على عجلة كبيرة، ثم تُنفذ عليه ضربات تكسر عظامه، وقد يُترك بعد ذلك للموت أو يُقتل.

كانت العقوبة أحياناً علنية، لتكون رسالة تخويف إلى المجتمع.

العجيب هنا: لم يكن الألم وحده هو المقصود؛ بل تحويل جسد الإنسان إلى مشهد استعراضي للسلطة.

* طوق الحديد ذي النتوءات

عُثر في مجموعات تاريخية على أطواق حديدية ذات نتوءات داخلية، كانت تُستخدم للتقييد والإذلال.

ومن النماذج المحفوظة طوق يُعتقد أنه يعود إلى إنجلترا في القرن السادس عشر.

وكان ارتداؤه مؤلماً، كما أن تصميمه يجعل حركة الرأس والرقبة صعبة.

* جهاز «الراك» — The Rack

من أشهر أدوات التعذيب في أوروبا.

كان السجين يُربط على إطار، وتُستخدم آلية لشد أطرافه.

استُخدم في برج لندن، خصوصاً مع متهمين في قضايا سياسية أو دينية.

ومن أشهر من تعرضوا له آن أسكيو، وهي كاتبة وواعظة إنجليزية عُذبت سنة ١٥٤٦ بسبب معتقداتها الدينية.

وقد وثّق القصر التاريخي لبرج لندن استخدام أدوات التعذيب في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

Historic Royal Palaces – التعذيب في برج لندن.

أجهزة التعذيب في العصر الحديث

وهنا المفاجأة: بعض الأجهزة الحديثة أكثر عنفاً من القديمة، لأنها تجمع بين التكنولوجيا والتقييد النفسي.

حزام الصعق الكهربائي وهو حزام يُثبت على جسم السجين، ويمكن تشغيله لإحداث صدمة

كهربائية.

وثّقت منظمة العفو الدولية أن هذه الأحزمة قد تُستخدم للسيطرة على السجناء، وأن مجرد التهديد بتشغيلها قد يسبب خوفاً نفسياً شديداً.

ومن آثار استخدامها الموثقة:

ألم شديد.

اضطرابات عضلية.

فقدان السيطرة على بعض وظائف الجسم.

اضطرابات في ضربات القلب في بعض الحالات.

وقد طالبت منظمة العفو بحظر هذه الأجهزة بسبب طبيعتها المهينة وخطر استخدامها في التعذيب.

منظمة العفو الدولية – أدوات تعذيب ينبغي حظرها

كرسي التقييد

كرسي معدني أو شديد الصلابة تُثبت فيه أطراف السجين بواسطة قيود.

قد يكون التقييد في بعض الظروف إجراءً أمنياً محدوداً، لكن استخدامه لفترات طويلة أو مع الإذلال أو الحرمان من الاحتياجات الأساسية قد يتحول إلى معاملة قاسية أو تعذيب.

وقد وثّقت منظمة العفو الدولية استخدام كراسي التقييد في بعض السجون ومراكز الاحتجاز، ومن ذلك حالات في الصين والولايات المتحدة.

القيود التي تربط العنق باليدين

من الأجهزة الحديثة المثيرة للقلق قيود تربط الرقبة بالمعصمين.

وقد حذرت منظمة العفو الدولية من خطورتها، لأن الضغط على الرقبة قد يؤدي إلى إصابات خطيرة أو صعوبة في التنفس.

وتكمن خطورتها في أنها تُقدَّم أحياناً باعتبارها أداة ضبط، بينما قد يكون تصميمها نفسه مهيناً ومؤذياً.

الهراوات الشائكة

هراوات تحتوي على نتوءات معدنية أو بلاستيكية صلبة.

وقد وثّقت منظمة العفو الدولية عرض هذه الهراوات للبيع في معرض أمني بباريس عام ٢٠١٧، رغم أن الاتحاد الأوروبي يحظر تجارة هذا النوع من المعدات.

ومن الدول التي ظهرت شركاتها في تقارير عن تصنيع أو تسويق أدوات من هذا النوع: الصين، إلى جانب شركات في دول أخرى.

الأصفاد والأكمام الكهربائية

أدوات تقييد مزودة بوسائل صعق كهربائي.

أشارت منظمة العفو الدولية ومؤسسة أوميغا إلى أن بعض الشركات الأوروبية عرضت أجهزة صعق بجهد يصل إلى ٥٠ ألف فولت في تقارير تاريخية عن تجارة معدات التعذيب و ٥٠ ألف فولت تكفي لقتل فيل ضخم!.

وهذه الأجهزة تكشف ثغرة خطيرة: قد يُحظر نوع من أدوات الصعق، بينما يُسمح بتسويق نوع آخر قريب منه في الوظيفة والأثر.

وقد أشارت منظمة العفو الدولية إلى أن دولاً أوروبية، ومنها ألمانيا والتشيك، سمحت بتصدير معدات إلى بلدان وثّقت فيها انتهاكات باستخدام معدات من النوع نفسه.

تحايل الدول الديمقراطية لبيع أدوات التعذيب

وهنا نجد مفارقة غريبة في تنظيم التجارة:

أجهزة لا غرض عملياً لها سوى التعذيب أو الإهانة تُدرج ضمن قائمة السلع المحظورة.

أما أجهزة لها استخدامات أمنية مشروعة، لكنها قابلة للتعذيب، فتُدرج ضمن قائمة تخضع للترخيص والرقابة.

ومن أمثلة المعدات التي طالبت مؤسسة أوميغا بإدراجها أو تشديد الرقابة عليها:

أجهزة الصعق الكهربائي المباشر.

أغطية الرأس التي تحجب الرؤية عن السجناء.

كراسي وأسرّة التقييد.

بعض أنواع الأصفاد.

أدوات الضرب اليدوية.

وقد خلص تقرير المؤسسة إلى أن بعض المعدات لا تزال خارج نطاق الحظر أو الرقابة الكافية، وأن شركات في عشر دول أوروبية على الأقل كانت تروّج لمعدات أمنية يمكن أن تسهّل التعذيب أو سوء المعاملة. فمثلاً.

١- ألمانيا من أكثر دول الاتحاد الأوروبي إصداراً لتراخيص تصدير هذه المعدات

بحسب تقرير مؤسسة أوميغا للأبحاث، وهي مؤسسة مستقلة متخصصة في دراسة تجارة تقنيات الأمن والشرطة:

نشرت ألمانيا تقارير سنوية عن تراخيص تصدير المعدات المشمولة بتنظيم الاتحاد الأوروبي لمكافحة تجارة أدوات التعذيب منذ عام ٢٠٠٦.

أظهرت البيانات التاريخية أنها كانت تمنح أكثر من ١٠٠ ترخيص تصدير سنوياً في بعض الفترات.

كانت ألمانيا من أكثر الدول الأوروبية إصداراً لهذه التراخيص.

لكن هناك نقطة مهمة جداً: هذه الأرقام تعني عدد التراخيص، لا عدد الأجهزة المباعة؛ فقد يتضمن الترخيص الواحد كميات كبيرة أو شحنات متعددة.

كما أن التقارير الألمانية لم تكن تقدم بصورة منتظمة قيمة الصادرات المالية أو عدد الأجهزة أو هوية المستخدم النهائي.

ومن المعدات التي وردت في تقارير التصدير الألمانية التاريخية:

قيود وأغلال للأقدام.

بخاخات ومواد كيميائية مهيجة.

معدات أمنية وشرطية يمكن استخدامها في تقييد الأشخاص أو السيطرة عليهم.

وقد وثّقت منظمة العفو الدولية ومؤسسة أوميغا أن ألمانيا منحت، بين عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٩، تراخيص لتصدير أغلال للأقدام ورذاذات كيميائية إلى دول سبق توثيق استخدام قواتها الأمنية معدات من هذا النوع في التعذيب أو سوء المعاملة.

المفارقة الأخلاقية: قد تصدر الدولة جهازاً تحت عنوان «معدات أمنية»، ثم يُستخدم الجهاز نفسه

في انتهاك كرامة إنسان داخل سجن أو مركز اعتقال.

٢- الاتحاد الأوروبي — إحصاءات رسمية حديثة

يخضع هذا المجال لتنظيم الاتحاد الأوروبي رقم ٢٠١٩/١٢٥، المعروف بتنظيم تجارة بعض السلع التي يمكن استخدامها في التعذيب أو العقوبة القاسية أو المهينة.

وفق تقرير المفوضية الأوروبية الصادر في ١٣ نوفمبر ٢٠٢٦ بشأن صادرات عام ٢٠٢٥:

بلغ مجموع تراخيص التصدير المبلّغ عنها ٢٧٧ ترخيصاً.

أبلغت ١٢ دولة عضواً في الاتحاد الأوروبي، إضافة إلى المملكة المتحدة فيما يتعلق بأيرلندا الشمالية، عن منح تراخيص.

لا يعني الرقم ٢٧٧ جهازاً؛ بل هو عدد التراخيص، وقد يشمل الترخيص الواحد عدة شحنات أو كميات غير محددة.

رفضت الدول ٥ طلبات تصدير في عام ٢٠٢٥.

وهذا التقرير مهم لأنه يقدم أحدث البيانات الرسمية المتاحة عن عام ٢٠٢٥.

ثالثاً: العنف الفردي أو المنفلت.

ج- العنف الفوضوي أو المنفلت، والعالم كلّه، على مستوى آحاد أفراده، يعاني بشكل خطير من ارتفاع حالات العنف.

وقد ذكرت إحصاءات عالمية معتمدة أنّ عدد الذين يقتلون عمداً بلغ ١٢٥٥ يومياً، وهو رقم مذهل حقاً.

كما ذكرت أنّ امرأة واحدة تقتل كل عشر دقائق على يد الزوج أو الشريك (الصديق أو الخِدن) أو الأهل، وهو رقم مذهل حقاً.

من أبشع الإحصاءات:

السنة عدد النساء والفتيات المقتولات على يد الشريك أو أحد أفراد الأسرة

٢٠٢٣ ٥١,١٠٠

٢٠٢٤ نحو ٥٠,٠٠٠

أي إن نحو ١٣٧ امرأة وفتاة تُقتل يومياً على يد شريك أو فرد من أفراد الأسرة وفق تقديرات ٢٠٢٤.

وفي عام ٢٠٢٣ كانت النسب الإقليمية المقدرة:

إفريقيا: ٢١,٧٠٠.

آسيا: ١٨,٥٠٠.

الأمريكتان: ٨,٣٠٠.

أوروبا: ٢,٣٠٠.

أوقيانوسيا: ٣٠٠[١].

البشرية بحاجة إلى المنقذ الأعظم عجل الله فرجه الشريف

إذا عرفنا ذلك، فإنّه سيتجلّى لنا بوضوح أنّ البشر كانوا ولا زالوا وسيكونون كذلك، يتميّزون بالعنف على شتّى المستويات، كأصل عام، من غير فرق في أصل هذه الظاهرة بين الحكومات الديمقراطية والدكتاتورية، وإن اختلفت الدرجات، ومن دون فرق بين الشعوب، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿**إِنَّ الْإِنْسانَ لَفي خُسْرٍ**[٢]﴾، ﴿**إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً**[٣]﴾، ﴿**إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى**[٤]﴾.

وإذا كان ذلك كذلك، وهو كذلك، فإنّ الكلام تارةً يقع على مستوى الحل الكلّي الجذري الشامل على مستوى العالم، وأخرى على مستوى الحلول الجزئية على نطاقات محددة.

أمّا الحل الكلّي الشامل، فذلك ممّا لا يمكن ظاهراً، وحسب التجربة الممتدة عبر ألوف السنين على يد البشر أنفسهم، إلّا بإمداد مباشر من السماء، وهذا هو الذي بشّرت به رسالات السماء في الموعود المؤمّل، مهدي الأمم وصاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف.

ولذا ورد في دعاء الندبة: «**عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَلَا تُرَى، وَلَا أَسْمَعَ لَكَ حَسِيساً وَلَا نَجْوَى.**

---

١ تقرير مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة وهيئة الأمم المتحدة للمرأة، Femicides in ٢٠٢٤.

٢ العصر: ٢.

٣ الأحزاب: ٧٢.

٤ العلق: ٦-٧.

عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ لَا تُحِيطَ بِيَ دُونَكَ الْبَلْوَى، وَلَا يَنَالَكَ مِنِّي ضَجِيجٌ وَلَا شَكْوَى.

بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَازِحٍ مَا نَزَحَ عَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ أُمْنِيَّةُ شَائِقٍ تَمَنَّى، مِنْ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ذَكَرَا فَحَنَّا.

بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ عَقِيدِ عِزٍّ لَا يُسَامَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ أَثِيلِ مَجْدٍ لَا يُجَازَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ تِلَادِ نِعَمٍ لَا تُضَاهَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَصِيفِ شَرَفٍ لَا يُسَاوَى.

إِلَى مَتَى أَحَارُ فِيكَ يَا مَوْلَايَ وَإِلَى مَتَى؟ وَأَيَّ خِطَابٍ أَصِفُ فِيكَ وَأَيَّ نَجْوَى؟ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أُجَابَ دُونَكَ وَأُنَاغَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيَكَ وَيَخْذُلَكَ الْوَرَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكَ دُونَهُمْ مَا جَرَى.

هَلْ مِنْ مُعِينٍ فَأُطِيلَ مَعَهُ الْعَوِيلَ وَالْبُكَاءَ؟ هَلْ مِنْ جَزُوعٍ فَأُسَاعِدَ جَزَعَهُ إِذَا خَلَا؟ هَلْ قَذِيَتْ عَيْنٌ فَتُسْعِدَهَا عَيْنِي عَلَى الْقَذَى؟ هَلْ إِلَيْكَ يَا ابْنَ أَحْمَدَ سَبِيلٌ فَتُلْقَى؟ هَلْ يَتَّصِلُ يَوْمُنَا مِنْكَ بِغَدِهِ فَنَحْظَى؟ مَتَى نَرِدُ مَنَاهِلَكَ الرَّوِيَّةَ فَنَرْوَى؟ مَتَى ننقع [نَنْتَفِعُ] مِنْ عَذْبِ مَائِكَ فَقَدْ طَالَ الصَّدَى؟ مَتَى نُغَادِيكَ وَنُرَاوِحُكَ فَتَقَرَّ عُيُونُنَا، مَتَى تَرَانَا وَنَرَاكَ وَقَدْ نَشَرْتَ لِوَاءَ النَّصْرِ؟

تُرَى أَتَرَانَا نَحُفُّ بِكَ وَأَنْتَ تَؤُمُّ الْمَلَأَ، وَقَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ عَدْلًا، وَأَذَقْتَ أَعْدَاءَكَ هَوَاناً وَعِقَاباً، وَأَبَرْتَ الْعُتَاةَ وَجَحَدَةَ الْحَقِّ، وَقَطَعْتَ دَابِرَ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَاجْتَثَثْتَ أُصُولَ الظَّالِمِينَ، وَنَحْنُ نَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[1]».

من الحلول على مستوى الأفراد

وأما الحلول على مستوى الأفراد، فقد أشار إليه الإمام الرضا صلوات الله عليه وذلك عندما سأل المأمون عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار «**فَكَتَبَ (عليه السلام) لَهُ: أَنَّ مَحْضَ الْإِسْلَامِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهاً وَاحِداً أَحَداً فَرْداً صَمَداً قَيُّوماً سَمِيعاً بَصِيراً قَدِيراً قَدِيماً قَائِماً بَاقِياً عَالِماً لَا يَجْهَلُ، قَادِراً لَا يَعْجِزُ، غَنِيّاً لَا يَحْتَاجُ، عَدْلًا لَا يَجُورُ...**

---

١ السيد ابن طاووس، إقبال الأعمال، دار الكتب الإسلامية ـ طهران: ج١ ص٢٩٨.

وَأَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَأَوَانٍ، وَأَنَّهُمُ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَأَئِمَّةُ الْهُدَى، وَالْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ خَالَفَهُمْ ضَالٌّ مُضِلٌّ بَاطِلٌ، تَارِكٌ لِلْحَقِّ وَالْهُدَى، وَأَنَّهُمُ الْمُعَبِّرُونَ عَنِ الْقُرْآنِ، وَالنَّاطِقُونَ عَنِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وآله) بِالْبَيَانِ، وَمَنْ مَاتَ وَ لَمْ يَعْرِفْهُمْ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً.

وَأَنَّ مِنْ دِينِهِمُ الْوَرَعَ وَالْعِفَّةَ وَالصِّدْقَ وَالصَّلَاحَ وَالِاسْتِقَامَةَ وَالِاجْتِهَادَ وَأَدَاءَ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَطُولَ السُّجُودِ، وَصِيَامَ النَّهَارِ، وَقِيَامَ اللَّيْلِ، وَاجْتِنَابَ الْمَحَارِمِ، وَانْتِظَارَ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ وَحُسْنَ الْعَزَاءِ وَكَرَمَ الصُّحْبَةِ[1]».

وهذا يعني أنّه يلزم أن يكون كل شخص منّا مثالياً في جهات عديدة منها الآتي:

١- الورع عن محارم الله.

٢- العفة عن الشهوات.

٣- الصدق في المواطن كلها.

٤- الصلاح في الجوانح والجوارح.

٥- الاستقامة على الدرب.

٦- الاجتهاد في طاعة الله، وفي الذب عن حياض الدين وشريعة سيد المرسلين.

٧- أداء الأمانة لكل من ائتمنك.

٨- طول السجود.

٩- صيام النهار، وقيام الليل.

١٠- اجتناب المحارم.

١١- انتظار الفرج بالصبر، والذي قد يشمل المعاني الأربعة التالية: الصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي، والصبر على المصائب، والصبر على الاخوان، وكلٌّ منها بحر واسع.

١٢- حسن العزاء وكرم الصحبة.

ومن الطرائف المعبّرة ما سمعته من السيد الوالد عن الأخ الأكبر السيد محمد رضا (قدس سرهما):

---

١ الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، نشر جهان ـ طهران: ج٢ ص١٢٢.

أ- إذ قال: إنّه لم يرَ السيد محمد رضا يغضب أبداً! والمقصود طوال السنين الأخيرة، أو لعله كان يقصد طوال عمره، وذلك ممّا يحتاج إلى تهذيب للنفس ربما يفوق الخيال.

ب- وذات يوم دخلت على السيد الوالد (قدس سره)، فوجدته مبتسماً (وكان الظرف حرجاً؛ إذ كانت في تلك الأيام عواصف سياسية تهدده وتهدد أتباعه ومقلديه ومؤسساته)، فسررت لذلك، وقلت: أيُّ خبر سار أفرحكم؟ فأجاب: لأول مرة شاهدت السيد محمد رضا غاضباً! وقد تبيّن أنّه إنّما غضب على ظالم غاشم عندما نُقل له أنّه ظلم كذا وفعل كذا، فحتى غضبه هذا كان بحق ضد الجائر الغاشم.

فإذا سعى كلٌّ منا ليوفّر الخصال الخمس التي ذكرها الإمام الرضا (عليه السلام)، فإنّه يكون قد تقدّم خطوة كبيرة جداً إلى الأمام في بناء حياة إيمانية مشرقة طيبة، مليئة بالرفق والسلم والمحبة والورع والتقوى.

قال تعالى: ﴿**فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ**[1]﴾.

الخاتمة:

بعد أن سلّط البحث الأضواء على بعض البصائر الهامّة حول قوله تعالى: ﴿**وَلا تَعْتَدُوا**﴾، استعرض ظاهرة العنف على مستوى الأفراد والجماعات والأمم والعالم كلّه، منوّهاً إلى نماذج من أخطارها على الأشخاص من جهة، وعلى الحضارة البشرية كلّها من جهة أخرى؛ ليصل إلى أنّ العنف على أنواع: العنف الممنهج، والعنف المقنّن، والعنف المنفلت، مستشهداً بإحصاءات من أهمّ الجهات الدولية المرموقة، ومستعرضاً أمثلة معبّرة وغريبة عن الانحطاط الذي وصل إليه العالم في بيع واستخدام أسوأ أنواع أدوات التعذيب.

ليختم بأنّ الحلّ على مستوى العالم خارج عن حدود قدرتنا، بل الأمر منوط بإرادة السماء في كشف الغمّة عن الأمّة بتعجيل فرج صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولكن على مستوى الأفراد، فإنّه تبقى لهم مساحة كبيرة في دوائر التغيير والتطوير.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين

يمكن ملاحظة الدرس والتقرير على الموقع التالي: m-alshirazi.com

١ النحل: ٩٧.